

مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية
البراجماتية: دراسة مقارنة

تاريخ القبول
2019/2/26

تاريخ الإرسال
2018/7/2

د. دلال محمود شطناوي⁽²⁾

أ. د. عدنان خطاطبة⁽¹⁾

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى بيان العلاقة بين مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية الإسلامية وفي النظرية التربوية البراجماتية ومقارنتهما، وقد استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي - الاستنباطي والمنهج المقارن. وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، أن مفهوم الحياة في النظرية التربوية الإسلامية يخلو من أية اتجاهات عبثية ويحدد غاية الإنسان في الحياة، ويتصف بالعمق، من خلال ما يمتلكه من الأدلة والبراهين والحجج التي تعمق في النفس الإنسانية الإيمان بخالق هذه الحياة ومنظمها ومسيرها، وبالواقعية كونه بعيداً بعيد كل البعد عن المثالية والتصورات العقلية المجردة وبالشمول، فلم تدع النظرية التربوية الإسلامية جانباً من جوانب الحياة إلا رسمت له الطريق الأمثل، وأن النظرية التربوية البراجماتية لا تمتلك تصوراً واضحاً إزاء قضية غائبة ومصير الحياة الإنسانية، بدعوى أنها من المسائل الميتافيزيقية التي لا تؤمن بها، والتي لا يمكن معرفتها؛ لأنها تتعدى حدود الخبرة الإنسانية، وبذلك تجعل مسألة تحديد غاية الإنسان في الحياة تختلف وتتباين من إنسان إلى آخر، وتجعلها خاضعة لإرادة الإنسان وخبرته، مما جعل الباب مفتوحاً على مصراعيه، لتحكم المصالح الشخصية والأهواء والرغبات والشهوات الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الحياة، النظرية التربوية الإسلامية، النظرية التربوية البراجماتية.

⁽¹⁾ دكتوراه في التربية الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن.

⁽²⁾ دكتوراه في التربية الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن.

Abstract

The concept of life and its nature in Islamic educational theory and the theory of pragmatic education" comparative study

This study aims at explaining the relationship between the concept of life and its nature in the Islamic educational theory and in the pragmatic educational theory and their comparison. The study uses the inductive method - the deductive approach and the comparative method. One of the main findings of this study is that the concept of life in Islamic educational theory The chronological age of human life and activity in the life of the world, from birth until death, on which man is based and to be rewarded in the afterlife, according to the criterion of charity in action, and the duty of succession and reconstruction of the earth. According to this depiction, it is devoided of any absurd trends in dealing with existence. It is characterized by depth, through the evidence, evidence and arguments that deepen the human psyche faith in the creator of this life and its organizer and its process. Also, it is realistic because it is a theory far from idealism and abstract mental perceptions, The study results show that pragmatism educational theory does not have a clear perception about the issue of teleology and the fate of human life, claiming that it is a metaphysical issue that does not believe in it, and that it is impossible to know it because it exceeds the limits of human experience, and thus make the question of determining the purpose of man in life vary and vary from one person to another, and make them subject to the will of man and his experience, which made the door wide open, to control personal interests and desires of humanity.

Keywords: Life Concept Islamic Educational Theory, Pragmatic Educational Theory

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين، وبعد:

فقد بدأت الأمة الإسلامية سعيها وراء بلورة مشروع التأصيل الإسلامي للدراسات
الإنسانية، بهدف عصرنة الماضي وتأصيل الحاضر، وسعيًا منها وراء تجاوز مرحلة
التخلف والتبعية التي تعيشها الأمة الإسلامية وتكتوي بناها في المجالات المختلفة،
سعت إلى بلورة نظرية تربوية إسلامية، تقدم البدائل التربوية العلمية والعملية للفكر
التربوي الغربي، الذي ما زال الفكر التربوي السائد في المجتمعات الإسلامية يعتمد على
أصوله ويتأثر به بدرجة كبيرة، و لنجاح أي نظام تربوي لا بد أن يكون قائماً على منهج
سماوي، ذي عقيدة صحيحة، تنعكس على سلوك الفرد فتعدله، وعلى عقله فتنتمي قدراته
وتحرره من الوهم والخرافة، وتمده بتصورات صحيحة عن حقيقة الإله والكون والحياة
والآخرة والبعث، لتكون جميع منطلقاته في الحياة الإنسانية، قائمة على أسس وقوانين
إلهية وصادقة.

وقد وضعت النظرية التربوية الإسلامية تصوراً متكاملًا عن نمط الحياة الأمثل
للإنسان في جميع مناحي حياته الفكرية والمادية والروحية والاقتصادية والاجتماعية،
من خلال عقيدة ربانية المصدر تضمن أن يرتقي الإنسان إلى أعلى مراحل النمو
والارتقاء في حدود بشريته، ومن ثمّ تتميز الأمة الإسلامية عن غيرها من الحضارات.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتوضيح مفهوم علاقة الإنسان بالحياة وطبيعتها كما تتصوره النظرية التربوية الإسلامية ودورها في توجيه هذه العلاقة؛ وإبراز ذلك من خلال مقارنتها بالنظرية التربوية البراجماتية.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تكمن الحاجة إلى هذه الدراسة في أنها تسهم في إبراز النظرية التربوية الإسلامية ودورها في بناء السلوك الانساني وتعديله، وتنمية عقل الأنسان وقدراته وتحريره من الوهم والخرافة، بتصورات صحيحة عن حقيقة الحياة، وذلك من خلال توضيح العلاقة والمقارنة بين مفهوم الحياة في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البراجماتية، وذلك من خلال الأسئلة الآتية:

- 1- ما مفهوم النظرية التربوية الإسلامية؟
- 2- ما مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية الإسلامية؟
- 3- ما مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية البراجماتية؟
- 4- ما أوجه مقارنة مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البراجماتية؟

أهداف الدراسة

الأهداف التي سعت الدراسة لتحقيقها تتمثل بالآتي:

- بيان مفهوم النظرية التربوية الإسلامية.
- بيان مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية الإسلامية.

- بيان مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية البراجماتية.
- مقارنة مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البراجماتية.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة، من خلال الآتي:

- الإسهام في البحوث التربوية الإسلامية المتعلقة بمشروع بناء النظرية التربوية الإسلامية وتحديد هنا ما يتعلق بالبنية المعرفية للنظرية التربوية الإسلامية، وتبيان مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية البراجماتية..
- يتوقع أن يفيد من الدراسة: كل من يهتم بدراسة النظرية التربوية الإسلامية، وقسم إعداد المناهج بوزارة التربية والتعليم، وطلبة الدراسات العليا تخصص التربية الإسلامية.

منهج الدراسة

تستخدم الدراسة المنهج الاستقرائي - الاستنباطي والمنهج المقارن للإجابة عن أسئلة الدراسة وتحقيق الأهداف المرجوة.

حدود الدراسة

اقتصرت الدراسة على النظرية التربوية البراجماتية، والنظرية التربوية الإسلامية.

الدراسات السابقة

في حدود إطلاع الباحثة ومراجعتها للمكتبات العلمية، فإنها لم تجد دراسة مستقلة تعالج المشكلة التي تهدف إليها هذه الدراسة، إلا أن هناك بعض الدراسات ذات صلة جزئية بموضوعات الدراسة، منها:

1. دراسة (الزيلعي: 1995)⁽³⁾:

هدفت الدراسة إلى عرض الفلسفة البراجماتية في مجال التربية من خلال خمسة فصول، ومدخلاً تاريخياً للفلسفة وتعريفها، وأبرز روادها، ونظرتها للكون والإنسان والحياة، والمعرفة والقيم، وطبيعة التربية البراجماتية وما يتصل بالأهداف وطرق التدريس، وتربية الطفل، والمعلم، واشتمل الفصل الرابع على وجهة نظر التربية الإسلامية حول النظرية البراجماتية. وكان من أبرز نتائجها: أن الأمة الإسلامية كلما ابتعدت عن الكتاب والسنة، كانت أكثر عرضة للغزو الفكري تحت مسمى البراجماتية والوجودية، وصارت التعاليم السماوية تُؤوّل حسب مصلحة الشخص ومنفعته.

وقد التقت هذه الدراسة مع دراسة الزيلعي في تناولها لطبيعة التربية البراجماتية، ووجهة نظر التربية الإسلامية حولها، وافترقت عنها في تناول هذه الدراسة لموضوع الحياة، وعلاقة الإنسان بها في النظرية التربوية الإسلامية ومقارنتها بالنظرية البراجماتية.

⁽³⁾ الزيلعي، علي حسن آل خليل، الفلسفة البراجماتية في مجال التربية من وجهة نظر التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1995م.

2. دراسة (جزولي: 1997م)⁽⁴⁾:

هدفت الدراسة إلى بيان أن القرآن الكريم منهج حياة، وفيه بيان لكل أنواع الحياة وحقائقها وقيمها وغاياتها وتوجيه الناس لكيفية التعامل معها بما يتفق مع منهج الله. وكان من أبرز نتائجها: أن المؤمن العاقل يتقيد بسنن الله في الكون، وأن الله عز وجل خلق الإنسان لأمر عظيم، وهو أن يكون خليفته في الأرض وهو السيد في هذا الميراث الواسع، وأن القيمة الحقيقية للحياة مصيرها الزوال وأن هذه الحياة، حياة مؤقتة، وأن الحكمة من وجودها الابتلاء والاختبار، والمنتبع لمنهج القرآن في حياته له أن يجني ثمراتها في الحياة الدنيا وفي الآخرة جنات ورضوان من الله.

وقد التقت هذه الدراسة مع دراسة جزولي في تناولها للتصور القرآني لمفهوم الحياة وأنواعها وحقائقها وغاياتها، ودور التربية الإسلامية في توجيه علاقة الإنسان بالحياة، وافترقت عنها في أن هذه الدراسة السابقة تناولت الموضوع من الناحية العقدية، أما هذه الدراسة فتناولت موضوع علاقة الإنسان بالحياة في النظرية التربوية الإسلامية وفي النظريات الوضعية من ناحية تربوية.

التمهيد:

النظرية التربوية الإسلامية

يعرف عبد الرحمن عبد الله (1991) النظرية التربوية الإسلامية أنها: "مجموعة من المبادئ المترابطة المستمدة من الكتاب والسنة والمدعمة بالحقائق المتعلقة بالآيات

(4) جزولي، أزمي سامعون، الحياة في القرآن الكريم، الرياض، دار طويق، ط1، 1997م، وهي أطروحة دكتوراه تم طباعتها كتاباً.

المبثوثة في النفس الإنسانية والكون والتاريخ والشاملة لميادين العملية التربوية كافة، والهادفة إلى توجيه السلوك الإنساني في ضوء قيم الإسلام وتعاليمه الخالدة" (ص505). وعرفها المقداد بالجن(1991) بأنها "مجموعة التصورات والمفاهيم والأفكار والأهداف والأحكام والقيم ذات الحد الأقصى من التجريد، والعمومية المرتبطة بإعداد الإنسان المسلم حسب الأصول الإسلامية، وفي ضوءها يمكن تفسير العمليات التربوية الإسلامية وتبريرها وتقويمها اعتباراً من أسسها ومنهجها وأساليب ووسائل تحقيقها وتنفيذها" (ص398) ، وعرفها الدغامين(2008) بأنها "منظومة المعارف الإسلامية، المستمدة من المصادر الشرعية الرئيسية والثانوية، ذات التأثير الفعال والعلاقة الواضحة بكل مسارات العمل التربوي، الفكرية والتطبيقية، بناء وتوجيهاً وضبطاً، وتفسيراً وتطويراً"(ص6).

وكما يلحظ فإنّ أغلب التعريفات قد التقت على أن مصدرية النظرية التربوية الإسلامية مستمدة من الكتاب والسنة، وأن ميدانها تفسير العمليات التربوية وتبريرها وتقويمها بطريقة علمية إسلامية، وأنها شاملة لجميع جوانب التربية بجانبها النظري والعملية، وأن الغاية العظمى هي إعداد الإنسان المسلم حسب الأصول الإسلامية. وبناء على ما سبق، تعرف النظرية التربوية الإسلامية بأنها منظومة متكاملة من المبادئ والمفاهيم والحقائق، والقيم الإلهية، والتصورات والمسلمات والأفكار التي تنتظم بصورة متكاملة، ليسترشد بها في توجيه وتفسير العملية التعليمية بجانبها العلمي

والعملي، لتحقيق غاية إعداد الفرد لحياتي الدنيا والآخرة، والوصول به إلى تحقيق المقصد الإلهي من القيام بواجب الخلافة وعمارة الأرض.

المبحث الأول: مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية الإسلامية.

تتلقى النظرية التربوية الإسلامية التصور الأساسي لمفهوم الحياة وطبيعتها من مصدرها الرباني، لذا يعد الكتاب والسنة، واجتهادات العلماء في فهمهما، المرجع الرئيس والرافد الأساس الذي سيتم اعتماده في هذه الدراسة، وسيتم عرض الموضوع. كالآتي:

مفهوم الحياة في اللغة: الحي في اللغة: ضد الميت، والحياة بفتح الياء: نقيض الموت (ابن منظور، 1999، ص324)، والحياة ضد الموت، ويسمى المطر حياً لأن به حياة الأرض، ويقال ناقةٌ مُحَيَّية: لا يكاد يموت لها ولد (ابن فارس، 1979، ص122)، والحياة: هي مرحلة ما بين الولادة والموت، والحي: ما كان به روح (مسعود، 1981، ص599)، وتأتي بمعنى النمو والبقاء، (مجمع اللغة العربية، 1985، ص235). ويلحظ مما تقدم أن المعاني اللغوية للفظ الحياة تدور حول معنى بقاء الكائنات بروحها وحركتها ونموها بوصفها صفة لازمة تدل على وجود الحياة واستمرارها، و تتحدد هذه الحياة بعمر زمني محدد له بداية ونهاية.

المعنى الاصطلاحي للحياة في النظرية التربوية الإسلامية:

من التعريفات الاصطلاحية لمفهوم الحياة ما ذكره مذكور (1991) بأنها: "مجموع أنشطة الكائنات والطاقات التي خلقها الله عز وجل خلال أعمارها الزمنية"، وعرفها

الفاعوري(1992م) انها "الصفة التي بها يتمكن الإنسان من إدراك ما حوله، والتكيف معه بالنماء والبقاء من الولادة إلى الموت".

- كما عرفها الأسمر (1997م) "مفهوم الحياة هو: حياتان: دنيا، تبدأ منذ ولادة الإنسان على الأرض، وتنتهي بموته، وهي مناط الاستخلاف في الأرض، والتي يتميز فيها الناس بمعتقداتهم وأعمالهم، وحياة أخرى، تبدأ من يوم القيامة والحساب والجزاء، على المعتقدات والأعمال في الحياة الدنيا، ويكون المآل إلى جنة أو نار ولا موت بعدها".

ويلحظ على التعريف الأول للحياة، اقتصاره على أنشطة الكائنات وطاقتها في أعمارها الزمنية، وهو تعريف يعترضه القصور، لتناوله جانباً واحداً من جوانب الحياة بمفهومها العام، كما ويلحظ فقدان التعريف عناصر هامة، كغاية الحياة وعلة خلقها، وما هو مبدأها وما هو مصيرها، أما التعريف الثاني فهو أقرب للمعنى اللغوي منه إلى الاصطلاح؛ لاقتصاره على صفة الحياة، وهي صفة الإدراك والتكيف بهدف البقاء والنماء، وهو أبعد ما يكون عن الغاية العظمى التي خلقت الحياة لأجلها، أما التعريف الثالث فهو الأقرب إلى الشمول والإحاطة بمفهوم الحياة، إذ تناول الحياة بمفهومها ومراحلها وهدفها ومآلها، إلا أنه عرف الحياة بأنها حياتان: حياة دنيا، وحياة أخرى، ولا يصلح تعريف الشيء بالشيء نفسه.

ويقصد بمفهوم الحياة، أنها: العمر الزمني لمعيشة الإنسان ونشاطه في الحياة الدنيا، بدءاً من مرحلة الولادة وانتهاءً بالموت، والتي يُقَوِّم على أساسها الإنسان ويلقى

الجزء في الحياة الآخرة، وفق معيار الإحسان في العمل، والقيام بواجب الخلافة وأعمار الأرض.

ويتحدد من قول التعريف "بالعمر الزمني لمعيشة الإنسان ونشاطه في الحياة الدنيا"، أن مفهوم الحياة يدور في فضاء مكان وزمان محددين، من خلال قياس وتتبع أنشطة الإنسان، وأفعاله المقصودة في عمره الزمني المحدد في الحياة الدنيا، "بدءاً من مرحلة الولادة وانتهاء بالموت"، وهي الفترة الزمنية المحددة للمرحلة الأولى من مراحل الحياة، وأوضح الدغامين (2008م) بأن "مرحلة الحياة الدنيا: هي رحم الوجود الإنساني، وهو قدر محتوم لا يستطيع أحد إبطائه أو الاستزادة منه"، والتي تبدأ منذ اللحظة الأولى لولادة الإنسان، وتنتهي بلحظة مفارقتها للحياة بسنة من سنن الله الثابتة التي وضعها الله على هذه الأرض بوصفها مصيراً محتوماً، تنطبق على جميع من خلق، وهي سنة "الموت"، التي يُقَوِّم بها الإنسان ويلقى على أساسها الجزاء "للدلالة على معيار صحة الأعمال، إذ يلقي الإنسان جزاءه وفق معيار ثابت قوامه "الإحسان في قيامه بواجب الخلافة وإعمار الأرض" في الحياة الآخرة، وهي آخر مرحلة من مراحل الحياة، والمتميزة بصفة الخلود والأبدية، وهي دار الجزاء والحساب والقرار، إما إلى جنة الخلد ونعيم مقيم، وإما إلى جهنم وبئس المصير، وبالرغم من الاختلاف والتباين بين مراحل الحياة المختلفة، في صفتها وطبيعتها والقوانين التي تحكمها، إلا أنها تشكل معاً وحدة كلية لا تتجزأ، تعتمد كل مرحلة فيها على المرحلة التي قبلها والتي بعدها، وتبني النتائج على أساسها.

طبيعة الحياة في النظرية التربوية الإسلامية:

تتمثل طبيعة الحياة في النظرية التربوية الإسلامية في عناصر الحياة الأساسية، والمتمثلة في الأمور الآتية: حقيقة خالق الحياة، ومراحل الحياة الإنسانية، وحقيقة الحياة وعلة خلقها، وخصائص مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية الإسلامية، وأصل الحياة الإنسانية ومصيرها، وأهم مبادئ الحياة الإنسانية وغاية وجودها، والمتصفح لكتاب الله عز وجل يجد فيه تصوراً متكاملًا لهذه العناصر جميعها.

فكتاب الله عز وجل أعظم منهج تربوي وتعليمي للعالم والمتعلم على حد سواء، وأفضل مقرر علمي، ومرجع أخلاقي، لكل من يبحث عن نظرية تربوية، وعن مبادئ تعليمية، ليجدها في آيات الله المحكمة، من خلال سياقات قرآنية معجزة في البلاغة والأثر (الأسم، 1997م، ص69).

خصائص النظرية التربوية الإسلامية في تصورها لمفهوم الحياة وطبيعتها:

إن من أهم الخصائص التي تميز تصور النظرية التربوية الإسلامية لمفهوم الحياة وطبيعتها والمبادئ التي تقوم عليها ما يأتي:

- **خاصية الربانية:** إن من أعظم الخصائص التي تميز النظرية التربوية الإسلامية في تصورها الاعتقادي لمفهوم الحياة وطبيعتها، أنها ربانية المصدر والغاية؛ لذا فهي تسعى إلى تزويد المتعلم بحقائق ثابتة عن مفهوم الحياة وطبيعتها؛ وبدون هذه الحقائق لا يستطيع الإنسان أن يفهم حقيقة وجوده، ولا دوره في هذا الوجود، فضلاً عن مصدر وجوده، وغاية وجوده (مذكور، 1991م، ص61). وعليه، فإن هذا

- التصور الفريد الرباني المصدر، يضيف طابع القدسية والثقة المطلقة به؛ لأنه موحى به من عند الله، ولم يكن وليد الفكر البشري.
- **خاصية الواقعية:** تمتاز النظرية التربوية الإسلامية في تصورهما لطبيعة الحياة بالواقعية، يقول يالجن (1991م): " فلقد جاء الإسلام ليعيد الإنسان لحياة خلق لها وخلقته له"، بعيداً عن المثالية والتصورات العقلية المجردة، وبدلاً على التصور الواقعي للحياة، كثرة الآيات القرآنية المتعلقة بأدق التفاصيل المتعلقة بحقيقة الوجود، كأصل الحياة ومراحلها، وبدء مرحلة الخلق، وحقيقة الحياة الدنيا وقيمتها، ومنزلة الحياة الدنيا من الآخرة، والسنن الإلهية التي أودعها الله في الحياة الإنسانية لتيسر على الإنسان سبل العيش، ليسهم بإيجابية وفاعلية في ترقية واقع حياته.
- **خاصية الشمول:** تقوم النظرية التربوية الإسلامية بتربية الإنسان وإعداده في جميع مراحل حياته ابتداءً من لحظة ولادته حتى وفاته، فهي لم تدع جانباً من جوانب الحياة روحية أو جسمية، دينية أو دنيوية، فردية أو جماعية، إلا رسمت له الطريق الأمثل، وأرادت للإنسان أن يعيش الحياة بمفهومها الشامل، حياة أطول من أن تقتصر على الحياة الدنيا فقط، بل تمتد لتشمل الحياة الآخرة التي لا نهاية لها؛ حتى يعيش الإنسان في هذه الحياة حياة كريمة بأشكالها وأوضاعها كافة.
- **خاصية التوازن والاتساق:** وتظهر هذه الخاصية واضحة وجلية في النظرة المتوازنة والمتسقة التي تتبناها النظرية التربوية الإسلامية للحياة الدنيا والحياة الآخرة. فالإنسان يعيش في هذه الحياة الدنيا يبتغي أولاً الدار الآخرة ووجه الله ومرضاته،

ويجعلها الغاية العظمى والهدف الأسمى له، وفي الوقت نفسه لا ينسى هدفاً عرضياً أباحه الله له، فيأكل ويشرب ويتزوج ويتنعم بما هيا الله له من سبل العيش؛ لأن الله ما كان ليخلقها ثم يحرم على الإنسان التنعم بها. ويمكن إدراك هذه الخاصية في كيفية تنظيم الحياة الإنسانية على أساس من التوازن بين عالم المادة، وعالم الروح، ليعيش الإنسان الحياة بمفهوم أوسع من مفهوم الحياة المادية فقط، وإنما يربطه إلى جانبها بالحياة الروحية، ليعيش لحياة لا نهاية لها، أكثر متعة وأكثر قيمة. كما وتظهر خاصية التوازن في تصور النظرية التربوية الإسلامية لمفهوم الحياة الإنسانية، في التوازن بين مصادر المعرفة في الحياة الإنسانية، يقول سيد قطب(1970 م) " التلقي من الوحي، والتلقي من الكون والحياة عن طريق العقل والطاقات الكامنة فيه، باعتبار أن هذا كله من صنع الله، فهي من عنده كما أن الوحي من عنده أيضاً".

- **خاصية الثبات:** تقوم النظرية التربوية الإسلامية على قاعدة الثابت والمتغير في الحياة الإنسانية، ويكون قوامها ثوابت أساسية لا تتغير بتغير الزمان والمكان، نابعة من مصدرها الرباني، وتقتصر وظيفة العقل الإنساني فيها على تلقيها وإدراكها وتطبيق مقتضياتها في واقع الحياة، والهدف الرئيس من هذه الثوابت التي تحكم الحياة الإنسانية، هو حفظ الفرد والمجتمع من التحلل والانحراف والانهيال، فهي تعد الإطار العام والثابت الذي ينظم للمسلم منطلقاته، وتوجهاته العلمية والأدبية والسياسية والاقتصادية، وسائر شؤون حياته العامة، كما وتقوم النظرية التربوية

الإسلامية على قاعدة المتغيرات، التي تقع داخل هذا الإطار من الثابت، ويطلق فيها العنان للعقل الإنساني، لتلبي حاجة ومتطلبات التطورات المستمرة والحاصلة على واقع الحياة الإنسانية، بما يناسب حاجات الناس المتجددة، وفقاً لتغير الزمان والمكان (مذكور، 1991م، ص 69)، ووفقاً لقاعدة الحركة داخل إطار ثابت وحول محور ثابت، فإنها تحافظ على ثبات أصولها ومبادئها، وتتعايش مع غيرها وتستفيد من خبرات الآخر بما لا يتعارض مع ثوابتها.

- **خاصية الإيجابية:** تتميز النظرية التربوية الإسلامية بتصور إيجابي موجه نحو الخير، يسعى إلى تحقيق الغاية العظمى والهدف الأسمى، وهو إعداد وبناء الإنسان الصالح المنتمي إلى أمة الخيرية، في خير حضارة، وهي حضارة الإيمان، "من خلال بناء مجتمع ذي قيم أخلاقية واتجاهات إيجابية، وحوافز للسلوك الإيجابي تتشكل منها أنماط اجتماعية، تستطيع أن تتحدى معوقات واقع الحياة النسبي المتغير، وتمنح الإنسان مجالاً هائلاً من الإيجابية للعمل والفاعلية (سلطان، 1977م، ص 10).

- **خاصية التكيف والمرونة:** تتضح خاصية التكيف والمرونة في النظرية التربوية الإسلامية من خلال ما تتمتع به من قدرة على مواجهة وحل المشكلات الحياتية للإنسان، "واستيعابها لمراحل التطور الإنساني في كل العصور والمجتمعات" (سلطان، 1977م، ص 10)، وواقع الحياة النسبي والمتغير بكل ما يحصل له من تطور على مر الزمان، من خلال قاعدة مهمة مفادها الثبات في

الأصول، والمرونة في التطبيقات، على أن تكون المرونة منضبطة وفق أصول وقواعد الشريعة.

- **خاصية الوحدة والتكامل:** تتميز النظرية التربوية الإسلامية في تصورها لمفهوم الحياة، بطابع الوحدة والتكامل في جميع جوانبها، وهذا الطابع صادر عن وحدة حقيقة الخالق سبحانه وتعالى، ووحدة حقيقة الكون، ووحدة حقيقة الحياة، ووحدة حقيقة الإنسان، ووحدة غاية الوجود الإنساني، فحيثما بحث الإنسان عن الحقيقة في هذا الوجود فإنه يصل إلى الوحدة (مدكور، 1991م، ص81)، فكلها متناسقة فيما بينها، تشكل معاً نسقاً واحداً متناغماً، وهي وحدة من خلالها يتحقق " تكامل وارتباط بين الحياة والوجود، وبين الفرد والمجتمع، والمجتمع والفرد، وبين الفرد في داخله بجميع دوافعه، وبين الحياة الأولى والحياة الآخرة، وحدة فيها تكامل بين الروحانيات والماديات، وبين المعاملات والعبادات، وبين العقيدة والسلوك، فلا ينكر أحدهما على حساب الآخر" (سلطان، 1977م، ص25).

- **خاصية التفرد:** إن انفراد النظرية التربوية الإسلامية بجعل الجزاء والمسؤولية في الحياة الآخرة مرهونة بمدى إصلاح الإنسان للحياة الدنيا ومدى قيامه بواجب الخلافة والإعمار، يثبت انفراد النظرية التربوية الإسلامية في تصورها لمفهوم الحياة وطبيعتها عن سائر المعتقدات، التي منها: إمّا أن يعتزل الحياة ليبلغ الآخرة، وإمّا أن ينكر الحياة الآخرة ويتبع هواه ونفسه والشيطان (قطب، 1962م، ص369).

كما وتتفرد النظرية التربوية الإسلامية في تصورهما لقضية المبدأ والمصير الإنساني عن غيرها، بحكم قدسية مصدرها في التلقي وريانيته.

المبحث الثاني: مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية البرجماتية.

أولاً: مفهوم مصطلح البرجماتية:

جاء في المعجم الفلسفي "بالفرنسي (Pragmatism)، وبالانجليزية (Pragmatisme)، والبرجماتية: مشتق من اللفظ اليوناني (pragma) وتعني: العمل النافع، أو المزاولة المجدية، وقد عرفها قاموس ويبستر العالمي (Webster) : بأنها تيار فلسفي أنشأه تشارلز بيرس ووليام جيمس، وجون ديوي، يدعو إلى حقيقة أن كل المفاهيم لا تثبت إلا بالتجربة العلمية. وعرفها جعيني (2004) بأنها: "تحويل النظر بعيداً عن الأشياء الأولية، والمبادئ والقوانين والاحتميات المسلم بها، وتوجيهه - النظر - نحو الأشياء الأخيرة: الثمرات، النتائج، الآثار" (ص185). و أوضح رشوان (2012م) أن البرجماتية في معناها العام كما قدمه ديوي: "هي النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة وموادها إنما تتحدد في حدود الاعتبارات العملية أو الغرضية" (ص41)، و"هي محاولة تفسير كل فكرة بنتبع واقتفاء أثر نتائجها العملية " (رشوان، 2012م، ص43). ومن خلال التعريفات السابقة، ترى الدراسة أن تعريف الفلسفة البرجماتية يدور حول كونها فلسفة تخضع الأفكار والمبادئ والمسلمات والحقائق والاعتقادات لنتائجها العملية، وبحسب ما تحققه من نفع، وبمقدار ما تساعد في التغلب على مشكلات الحياة، بمعنى

أن صدق الاعتقاد يتحدد بالطريقة التجريبية في واقع الحياة وهي المعيار والمقياس للدلالة على صحة المعتقد أو عدمه.

ثانياً: مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية البرجماتية:

لم تقف الدراسة على تعريف اصطلاحي ومحدد لمفهوم الحياة في النظرية التربوية البرجماتية، إلا أن جون ديوي (1964م) يعبر عن مفهوم الحياة وطبيعتها بقوله: "إن أوضح فرق يميز بين الكائنات الحية والجمادات هو أن مناشط الأولى تتميز بخصوصية الحاجات، وبالجهد المبذول الذي هو سعي نشط لإشباع الحاجات والتحقيق والرضا" (ص95)، ويقول "وأن الحياة لفظ للدلالة على نطاق الخبرة الفردية والعرقية، فحياة الفرد تدل على الأحداث الرئيسية في نمو طبعه، والكفاحات البارزة والانجازات التي حققها، وآماله وميوله الذوقية، وأفراحه وأتراحه، وهو لفظ يغطي العادات، والمؤسسات، والمعتقدات، والانتصارات، والهزائم واللهو، وشواغل العمل" (ديوي، 1978م، ص6). ويرى ديوي أن حياة الإنسان ليست في جوهرها إلا محاولة ليتم له التوافق مع البيئة المحيطة به (بخيت، 2006م، ص67) ، ويقول ديوي (1964م) معبراً عن طبيعة الحياة بوصفها تفاعل للفرد مع بيئته: "إن الحياة تمضي في بيئة، ولا يوجد مخلوق يعيش تحت جلده فحسب، فأجهزته الموجودة تحت البشرة هي وسائل للارتباط بما هو خارج نطاق هيكله، والذي يتعين عليه أن يلائم نفسه له بالتكيف والتوفيق والدفاع" (ص95). وبناء على ذلك تحرص النظرية التربوية البرجماتية على أن لا يتم اعتبار المتعلم بمعزل عن البيئة التي يعيش بها، وكذلك البيئة المدرسية؛ لأنه لا

يمكن فصله عن الحياة، بل يجب أن تكون البيئة المدرسية نموذجاً مصغراً للحياة، لأن التربية هي الحياة، وليست إعداداً لها (ديوي، 1978م، ص7).
كما وتتبنى النظرية التربوية البرجماتية تصوراً حول طبيعة الحياة الإنسانية، مفاده أن التجدد والاستمرار وعدم الاستقرار، هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة الإنسانية وطبيعتها بمناشطها كافة من دون استثناء، ويوضح ديوي (1964م) طبيعة هذا التجدد بقوله: "وإذا كانت الكائنات الحية تستمر في الحياة بدافع التكيف المادي مع البيئة، فالإنسان إلى جانب استمراره الحيوي كغيره من الكائنات الحية، يستمر كذلك اجتماعياً ويتميز بتجدد معتقداته ومثله العليا وآماله، وآلامه وسعادته وشقائه، فالحياة الاجتماعية تسمى حياة؛ لأنها تتصف بصفة الدوام والتجدد المستمر، ولا يوجد شكل من أشكال الحياة في حالة استقرار دائم، فهو إما أن يتقدم أو يتأخر، وفي نهاية المطاف يوجد الموت".

ومن ثم فإن النظرية التربوية البرجماتية تتبنى الاتجاه القائل بأن واقع الحياة الإنسانية يخلقه التفاعل بين الشخص وبيئته، وأما بالنسبة لمن يقع على عاتقه خلق هذا الواقع، فيشدد وليم جيمس على حق المتعلم في خلق واقعه، أما بيرس وديوي فيعلنان أن وقائع الواقع تقام على يد الخبراء، ولا سيما المعلمين" (الأهواني، 1987م، ص190).

وتحرص النظرية التربوية البرجماتية على أن يتم إعداد المعلم "بحيث يكمن دوره في السيطرة على البيئة التي يجري فيها التعلم والنمو، والمقصود بالنمو: هو زيادة

الذكاء في تدبير الحياة، أو التكيف الذكي في بيئة ما، كما وتحرص على أن تكون المناهج التعليمية تشبه ما أمكن المشكلات الحياتية للمتعلم، وأن تتغير باستمرار لتحيط بالمواقف الجديدة التي تواجهنا بها حركية الحياة" (نيلو، 1971م، ص 57). ويكمن السبب الفلسفي لهذا التصور في "أن الحياة الذكية لا بد أن تتضمن تأويلاً وإعادة بناء الخبرة، وينبغي لذلك أن يدخل المتعلم في موقف تعليمي مناسب لسنه وموجه صوب خبرات من المرجح أن يخوضها في حياته الراشدة؛ فلا بد أن يرى وثيقة الصلة بين ما يتعلمه وبين حياته الخاصة، لا بين ما يتعلمه وبين مفهوم الراشد لنوع الحياة التي ينبغي له في سنه أن يحيها" (نيلو، 1971م، ص 19)، وفي ضوء ذلك يتم إعداد المدرسة بحيث تكون مهمتها "توفير الظروف والمناخ المناسبين للسماح للمتعلمين بأن يعيشوا حياتهم، فلا يجوز أن تضحي المدرسة بحياة المتعلمين طيلة سنوات عديدة ترقباً لدخولهم حياة الراشدين" (تركي، 1993م، ص 59)، بل لا بد من تعليمهم الخبرات التي تساعدهم على أن يحيوا حياة ناجحة وسعيدة، يمتلكون فيها القدرة على مواجهة المشكلات الاجتماعية بكفاءة ومهارة؛ لذا تعد التربية السبيل الوحيد إلى تجدد الحياة الاجتماعية واستمرارها، "من خلال تهيئة بيئة مبسطة يفهم من خلالها المتعلمون الحياة الاجتماعية، وتكون أداة للرقى تطهر العادات الاجتماعية الموجودة وتسمو بها، وينصهر في بوتقتها جميع أفراد المجتمع ويتقاربون وتتوحد نفسياتهم، فلا تتجاذبهم طوائف الأمة المختلفة" (الأهواني، 1987م، ص 45).

وبناء على ما تقدم، فإن مفهوم الحياة وطبيعتها، يمكن أن يُنَّوَّضَح في النظرية التربوية البرجماتية من خلال التصور الفلسفي لها بأنها "لا تكاد أن تكون سوى عملية مستمرة من التكيف التجريبي للظروف المتغيرة والمتجددة، وأنها في تطور وتغير مستمرين" (الشيباني، 1987، ص392)، وبأن التغير هو جوهر الحياة الإنسانية، ويجب على الإنسان أن يكون متأهباً لتغيير الطريقة التي يصنع بها الأشياء بشكل مستمر، ومن ثمَّ لا بد أن ينعكس ذلك على غايات التربية ووسائلها، بحيث تكون مرنة ومنفتحة ومتجددة بشكل دائم ومستمر، بما يتوافق مع تجدد ظروف الحياة، فعملية التربية كما يعرفها ديوي: "عملية مستمرة لإعادة بناء الخبرة، وعملية نمو مستمرة لا تنتهي أبداً" (مرسي، 1993، ص 198)؛ وذلك لأن التربية لا بد أن تكون غاية ووسيلة معاً، فتكون التربية غاية من حيث إنها تهدف إلى ارتقاء الإنسان، وتكون وسيلة من حيث إنها أسلوب للعمل على ذلك الارتقاء (نيلو، 1971م، ص 18) ولا يتحقق ذلك إلا من خلال مواكبة المستجدات والمتغيرات في واقع الحياة الإنسانية، بشكل دائم ومستمر.

وبناء على ما سبق، ترى الدراسة أن مفهوم الحياة وطبيعتها في تصور النظرية التربوية البرجماتية، يمكن تعريفه بأنه: "الواقع الذي يصنعه الفرد حصيلة ما يختبره جراء تفاعله مع البيئة، ليحقق التكيف والتغيير والتوافق والتناسق معها".

ثالثاً: أهم المبادئ التي تقوم عليها النظرية التربوية البرجماتية، في صورتها لمفهوم الحياة وطبيعتها، والتي يمكن إجمالها في الأمور الآتية:

أ. معايير تقرير المبادئ الأساسية للحياة الإنسانية: تمتلك النظرية التربوية البرجماتية توجهاً يمتاز بالرفض للقضايا الميتافيزيقية بوصفها المصدر الذي تتبنى عليه مبادئها الأساسية للحياة الإنسانية، "فهي ترفض أن تكون الميتافيزيقيا من المباحث التي تدخل في نطاق الفلسفة، وتعدّ أن واقع الحياة يتحدد حسب خبرات الفرد الحسية، وعلى الاعتماد على الاتجاه التجريبي العملي بوصفه أساساً للمعرفة، وتؤمن بعدم الاهتمام بكنه الأشياء ومصدرها، بل بما يترتب عليها من نتائج" (مرسي، 1993، ص 188)، لذا يلحظ على جون ديوي أنه كان يتجنب في كتاباته استخدام ألفاظ مثل الحق، والباطل، والصدق، والكذب، ويعدّها ألفاظاً ميتافيزيقية لا جدوى من البحث عن معنى لها (مبروك، 1989، ص 73)، وأوضح جعيني (2004م) أن ديوي يعدّ وظيفة المعرفة خدمة مطالب الحياة، وأن ما يميز الخبرة هو اتصالها واستمراريتها بحيث يؤدي كل جزء منها إلى الآخر الذي يليه، ومعنى هذا أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف شيئاً أبعد من خبراته، "ومن ثم فإن التساؤلات حول الطبيعة المطلقة للإنسان والكون والحياة لا يمكن الإجابة عنها لأنها تتعدى حدود خبرات الفرد" (مرسي، 1993، ص 188)، ويستتبع ذلك إنكار المصدر الإلهي الخالق للحياة، واستبعاد الجانب الروحي تماماً، ومن ثمّ فإن النظرية التربوية البرجماتية تتبنى موقفاً من دور الدين في تقرير المبادئ الأساسية للحياة الإنسانية يمتاز بالرفض والاستبعاد لا أن يكون له أي تأثير في واقع الحياة العملي،

ويرفض ديوي قبول فكرة الإله المنفصل عن العالم، فالدين عنده قوة عليا غير منظورة من قبيل الغيب، ولا سبيل إلى معرفتها¹ (الأهواني، 1987م، ص142).

ويذكر جعيني (2004م) جون ديوي نادى بتخليص علم النفس مما علق به من أفكار ميتافيزيقية، ودعا إلى التركيز على الوعي (الشعور)، وتطبيق علوم الحياة على نفسية البشر (ص197).

وأخضعت البرجماتية الدين بقيمه وأخلاقياته ومبادئه لمبدأ النفعية، واعتبرته مجرد عامل ذاتي تنحصر مهمته في إمداد الإنسان بالمشاعر والوجدانيات، وجعلت الشعور والعاطفة روح الدين، كما ويرى وليم جيمس أن المعتقدات الدينية تدرك من خلال أثرها، وأنه لا يمكن إثباتها علمياً، فيقول: "إن الإيمان الذي لا يتزعزع سند قوي لتأييد صدق قضية، ليس في وسعنا أن نبررها عقلية، (بخيت، 2006، ص64).

وذكر الشيباني (1987) أن النظرية التربوية البرجماتية أنكرت في تصورهما الفلسفي القيم والمبادئ التي أقرتها الأديان، وجعلت مصدرهما الخبرة والنشاط والتجربة، بدعوى أن القيم الأخلاقية هي أمور إنسانية تتبع من صميم الحياة ولا تفرض عليه فرضاً من جهة عليا، ومن ثمّ "فإن من حق الإنسان أن يعتقد مبدأ خلقياً، أو معتقداً دينياً، لا يحمله على اعتناقه تفكيره النظري المجرد، بل تدعوه إلى اعتناقه مطالب الحياة ومقتضياتها" (إبراهيم، 1968، ص121)، ومن ثمّ فإن الدين ليس سوى مسألة مبنية على مجرد العاطفة والشعور والوجدان، تعتمد على ما تتركه من أثر إيجابي على نفسية الإنسان، ومن ثمّ ليس للدين أية علاقة بتنظيم الحياة الإنسانية.

ويرى وليم جيمس أن حقيقة الإله عبارة عن شخصية حقيقية متناهية، توجد في الزمان، وأنه جزء من الكون، وأنه نتيجة لاعتقادنا به ولإيماننا به، فالله عند البراجماتيين لا يخلق شيئاً، ولا يمكنه أن يحيط بكل شيء، وهو في حاجة إلى البشر، كما نحن البشر في حاجة إليه، بل إن وليم جيمس يقول أيضاً: إن الله نفسه يستمد من ولاننا وإخلاصنا عظمة وجوده ومقومات بقائه (إبراهيم، 1968، ص120).

ويؤمن جون ديوي (1978) بالاتجاه التربوي القائل بأن التغيير هو جوهر الحياة الإنسانية، وأنه لا يوجد ما يطلق عليه ثوابت، بل يطال التغيير حتى مبادئ الحياة الأساسية ليخرجها من قائمة الثابت، ويجعلها قابلة للتغيير بحسب ما تتطلبه المنفعة، وتقتضيه الحاجة، ومن ثم فإن مبدأ النفعية يعدّ معياراً من معايير تقرير المبادئ الأساسية للحياة الإنسانية. ومن الاتجاهات التربوية المهمة التي تولدت عن أخذ النظرية التربوية البرجماتية بمفهوم النفعية، أن الأفكار تكون حقيقية بمقدار ما يترتب عليها من نتائج عملية، وقيمة فعلية تقود إلى النجاح في الحياة؛ ويقول وليم جيمس: "إن الحقيقة عبارة عن مطابقة الأشياء لمنفعتها، لا مطابقة الفكر للأشياء" (جعنيني، 2004، ص191)؛ وبناء على ذلك، فإن النظرية التربوية البرجماتية تمقت البحث النظري العقيم، الذي يركز على كنه الأشياء ومصادرها، وتركز على نتائج الأعمال وعواقبها، كما أجازت للإنسان أن يتخذ من أفكاره وآرائه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولاً، ثم السير بالحياة نحو السمو والكمال ثانياً، أي أنّ الإنسان قادر على إعادة تشكيل ظروف الحياة بعزمه وإرادته (جيمس، 2008، ص12).

وبناء على ما تقدم، فإن المعرفة الحقيقية في النظرية التربوية البرجماتية، هي المعرفة التي تساعد الفرد على التغلب على مشكلات الحياة، وعلى تكيف بيئته وتطويعها لخدمة أغراضه، وإشباع حاجاته، ولا قيمة لأية معرفة لا يمكن استعمالها وتطبيقها في الحياة الحاضرة، ولا قيمة لمعرفة الماضي إذا لم تساعد على فهم وحل مشكلات الحاضر.

ومن وسائل المعرفة الحقيقية في الحياة كما تتصوره النظرية التربوية البرجماتية، ما يمكن إجماله في الآتي:

أ. الخبرة: إن أية معرفة يكتسبها الفرد في الحياة إنما هي ناشئة عن الخبرة، وعن تفاعله مع البيئة المحيطة به، من أجل التغلب على المشكلات التي تواجهه في الحياة (عبد الرحمن، 2002م، ص 113)..

ب. الطريقة التجريبية: وهي وسيلة أساسية للمعرفة، ومتضمنة في الخبرة؛ لأن الطريقة التجريبية مهمتها التحقق من صحة المعرفة سواء أكانت معرفة طبيعية تتعلق بالعلم وتطبيقاته، أم تتعلق بالحياة الإنسانية وقضاياها المجتمعية والأخلاقية (عبد الرحمن، 2002م، ص 113).

ج. التفكير: تؤمن النظرية التربوية البرجماتية بأن ظروف الحياة يمكن تحسينها، بالتصميم على العمل المستنير بالعقل، والعقل ليس ميزة موروثة عند الإنسان، بل هو قوة داخل الإنسان تترعرع في سياق الخبرة (أحمد، 1973، ص 23). وأورد جعيني (2004) "أن التفكير مرتبط بالعمل ويتطور من خلاله؛ لأن الإنسان لا يفكر

إلا إذا كان هناك موقف حياتي مشكل يعوق الفعل، وعندئذ فإن الفكرة الحقيقية هي الفكرة التي تعمل على حل هذا الإشكال العملي الذي وقع فيه الإنسان، فالفكرة الحقيقية في الحياة هي ما تجعلنا نسير في الواقع لحل مشاكلنا الحياتية وتحقيق رغباتنا، فالفكر لا بد أن يرتبط بحاجاتنا ورغباتنا.

وحول دور الإنسان في ترقية الحياة الإنسانية وتقرير مبادئها الأساسية، فإن النظرية التربوية البرجماتية في تصورها الفلسفي تخلو من النظرة الازدواجية للإنسان، وتنتظر له بأنه كل متكامل، فعقله، ونفسيته، وجسمه، متكاملة مع بعضها بعضاً، ومن ثم فإن الطبيعة البشرية ليست فطرية وثابتة، بل مرنة ومتغيرة؛ لأنها تمتلك القدرة على التفاعل مع البيئة والمجتمع.

"وبناء على ذلك، فإن الإنسان طبيعته محايدة فهو لا خير ولا شرير بفطرته، إنما لديه الاستعداد أن يكون هذا أو ذاك، ويتوقف ذلك على نوع التربية التي تتاح له، فالإنسان لا يأتي إلى الحياة مزوداً بقدرات عقلية، وإنما يأتي ولديه قابلية لأن يكتسب عدداً من القدرات عن طريق التعلم والمرور بالخبرة والتفاعل مع واقع الحياة، وكلما ارتقى الإنسان ازداد قدرة على تغيير البيئة لسد احتياجاته البيولوجية والنفسية" (تركبي، 1993، ص109)؛ فالإنسان كائن يستطيع أن يتفاعل مع واقع الحياة، وعلى اكتساب الخبرة والتكيف مع البيئة، وترقية الحياة الإنسانية؛ لأنه مقياس جميع الأشياء، "وليس للعالم معنى إلا بمقدار ما يطالع الإنسان فيه من معنى، وإن كان للكون نفسه غرض، فهذا الغرض محجوب عن الإنسان، وما لا يستطيع الإنسان أن يختبره لا يمكن أن يكون

واقعيًا بالنسبة له" ، لذلك اعتبرت النظرية التربوية البرجماتية الإنسان فاعلاً يحول الواقع وفقاً لأهدافه ومتطلباته، فهو الذي يعطي العالم ملامحه النهائية مسترشداً بمنفعته وتطلعاته الذاتية، لذا تنطلق النظرية التربوية البرجماتية من الخبرة الحية للإنسان لتحديد غرضه من الحياة، ولحل مشكلات الحياة الإنسانية، وتسعى وراء تنظيمها وتوجيهها (جعيني، 2004، ص197) .

وفي ضوء ما سبق، فإن النظرية التربوية البرجماتية تتبنى الاتجاهات التربوية التي تحرص على أن يتم إعداد المتعلم بشكل يساعده على تعلم الخبرات؛ ليتعامل مع المشكلات التي تواجهه في واقع حياته العملية، من خلال استخدام مواقف الحياة الحقيقية، ومن ثم لا بد من أن يتم التعامل مع كل متعلم بحسب طبيعته وشخصيته الخاصة به، وعدم الاعتماد على الدراسات الأكاديمية النظرية وحدها (عبد الرحمن، 2002م.، ص110). وكما يلحظ، فإن النظرية التربوية البرجماتية جعلت مسألة تحديد غاية الإنسان من الحياة، مسألة تختلف وتتباين من إنسان إلى آخر، ومن ثم فإن هذا التصور انعكس على الأهداف التربوية وجعل منها أهدافاً نسبية غير ثابتة، كما انعكس على كيفية التعامل مع المتعلمين، بحيث يعامل كل متعلم من المتعلمين بصورة منفصلة تراعى فيها ميولهم وحاجاتهم ومتطلباتهم، كل على حدة وبخصوصية تامة. (القضاة، 1998، ص178).

ب. مبدأ ومصير الحياة الإنسانية: تتأثر النظرية التربوية البرجماتية بالنظريات العلمية، ولعل من أهم النظريات التي تأثرت بها النظرية الداروينية، (رشوان، 2012،

ص51)، حيث تركز النظرية التربوية البرجماتية على نظرية النشوء والارتقاء لدارون في تفسيرها لعملية بدء الحياة الإنسانية، وتتخذ من مبدأ التطور والتغيير والتجدد الذي تقوم عليه هذه النظرية بوصفها أساساً تقوم عليه في تصورهما لطبيعة الحياة الإنسانية جوانبها كافة، ويشير ديوي إلى ذلك فيقول: "إن تأثير داروين على الفلسفة يقع في أنه أحال ظاهرة الحياة لمبدأ التغيير" (بخيت، 2006، ص81). وأما بالنسبة لمصير الحياة الإنسانية كما تتصورها النظرية التربوية البرجماتية، فإنها تعدّ التساؤلات حول مصير الحياة الإنسانية، من المسائل التي لا يمكن الإجابة عنها؛ لأنها تتعدى حدود خبرات الفرد؛ ولأن الإنسان لا يستطيع أن يعرف شيئاً أبعد من خبراته، "فهم يدعون على سبيل المثال أنه لا توجد طريقة للفرد يمكن بها أن يحدد بها ما إذا كانت هناك حياة بعد الموت؛ لأنه لا يستطيع أن يمر بخبرة الموت وهو ما يزال حياً" (مرسي، 1993، ص188)، ويرجع ذلك إلى اعتماد النظرية التربوية البرجماتية الطريقة التجريبية بوصفها وسيلة أساسية للمعرفة، ومقياساً للدلالة على صحة المعتقد أو عدمه.

المبحث الثالث: مقارنة مفهوم الحياة وطبيعتها في النظرية التربوية الإسلامية والنظريات التربوية البرجماتية

المطلب الأول: مقارنة مفهوم الحياة وعلة خلقها:

تتفرد النظرية التربوية الإسلامية بوضوح غائبة الحياة وعلة خلقها عن النظريات التربوية الوضعية التي تنتظر للإنسان نظرة مادية، وعلى أنه لحم وعظم، وسرعان ما يفنى فلا يبقى له أثر، مما يجعلها نظريةً تختلف نهجاً وأهدافاً ونتيجةً.

وتتميز النظرية التربوية الإسلامية بتصور لمفهوم الحياة وعلّة خلقها، يتصف بالعمق، من خلال ما تمتلكه من الأدلة والبراهين والحجج التي تعمق في النفس الإنسانية الإيمان بخالق هذه الحياة ومنظّمها ومسيرها، وبالواقعية لكونها نظرية بعيدة كل البعد عن المثالية، والتصورات العقلية المجردة، وبالشمول فهي لم تدع جانباً من جوانب الحياة إلا رسمت له الطريق الأمثل، كما ويتسع مفهوم الحياة وطبيعتها كما تتصوره النظرية التربوية الإسلامية ليشمل وجوداً زمنياً: وهو الحياة الدنيا، ووجوداً أبدياً: وهو الحياة الآخرة، وكذلك بالتوازن والاتساق بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وعالم الروح وعالم المادة، فهو تصور إيجابي، وثابت، ومتكامل، يُوجه الإنسان نحو غاية الحياة العظمى، وهي العبودية الخالصة لله وحده، تحقيقاً لقوله تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (الذاريات: ٥٦).

كما وتراعي النظرية التربوية الإسلامية طبيعة الحياة الإنسانية، وأنها دار تعب ونصب وكدر ومشقة، وتعدّ هذه المعوقات سنة من سنن الله تعالى التي أودعها في الحياة وأجراها فيها لابتلاء الإنسان وامتحانه، كما وتراعي ما يقابل هذا من شعور طبيعي من الإنسان بالقلق والخوف والضيق والتوتر النفسي، إلا أنها تحرص على أن يبقى هذا الشعور في حدوده الطبيعية، من خلال التربية الإيمانية، التي تجعل الإنسان يبقى دائماً في حالة وسط بين الرجاء والخوف، وبين الصبر والشكر، بما يضمن له الحماية من اليأس والإحباط عند مواجهته لأعباء الحياة ومشاقها، فعن صُهَيْبِ بْنِ سَنَانَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ

أَمْرُهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَفِي حَدِيثِ شَيْبَانَ: (وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ) (رواه مسلم).

كما ويظهر واضحاً بناءً على ما تقدم ذكره، أن النظرية التربوية البرجماتية جعلت مسألة تحديد غاية الإنسان في الحياة تختلف وتتباين من إنسان إلى آخر، وجعلتها خاضعة لإرادة الإنسان وخبرته، وجعلت الحقيقة والواقع من صنعه، مما جعل الباب مفتوحاً على مصراعيه، لتحكم المصالح الشخصية والأهواء والرغبات والشهوات الإنسانية، التي لا يحكمها أي قانون أو معيار سوى المنفعة، في انحراف مبرر سواء أكان بالنسبة للمجتمعات أم بالنسبة للأفراد. كما أنها لا تمتلك في تصورهما الفلسفي لمفهوم الحياة وطبيعتها مفهوماً واضحاً ومحددًا، بل تنتظر للحياة وطبيعتها نظرة قاصرة، وتخضعها لمبدأ التغيير والتطور الذي يشمل كل شيء حتى ليطال القيم والأخلاق، وكل مناحي الحياة الإنسانية بلا استثناء، مادام أن هذا التغيير فيه منفعة ومصلحة ويترتب عليه نتائج عملية تسهم في حل مشكلات الحياة الإنسانية.

وتتفق النظرية التربوية الإسلامية مع النظرية التربوية البرجماتية، في أن خاصية التطور والتغيير والتجدد في الحياة الإنسانية، من السنن الثابتة التي خلقها الله عز وجل لتقوم الحياة الإنسانية على أساسها، ففي كل زمان وفي كل مكان يحتاج الإنسان إلى أن يغير ويطور أسلوب حياته بما يتناسب مع مستجدات عصره والزمان الذي يعيشه، إلا أن النظرية التربوية الإسلامية ترفض مبدأ التغيير والتطور على إطلاقه؛ لأنه يؤدي بالمجتمع إلى الفوضى؛ ولأنه يخالف مبدأ الثوابت والمتغيرات، كمسألة القيم والأخلاق،

والتشريعات الدينية؛ لأنها هي التي تحفظ للأمة هويتها وتحافظ على تماسكها، وتحميها من الانحراف عن جادة الصواب على مر الزمان، وتجعلها تقف في وجه أعتى العقبات، وتعريضها للتبدل والتغير كما تتصوره النظرية التربوية البرجماتية يهدد ذلك كله، ويفقدها المعيار الصحيح للحكم على الأمور؛ وهذا يفسر عدم امتلاك النظرية التربوية البرجماتية لمفهوم واضح للحياة الإنسانية وطبيعتها، ومن ثمَّ عدم وجود غاية واضحة ومحددة للحياة الإنسانية يسعى الأفراد إلى تحقيقها.

المطلب الثاني: مقارنة معايير تقرير المبادئ الأساسية للحياة الإنسانية:

إنَّ النظرية التربوية الإسلامية تنفرد بامتلاكها مادة علمية متكاملة، وواضحة، ومتأسكة، ومتفردة، ذات مصدرية إلهية صادقة، تمتاز بالقدسية والثقة المطلقة، وهذه المادة العلمية بوصفها مصدرًا ثابتًا فإنها تفرضه على كل فروعها، حول حقائق الوجود العظمى، كحقيقة الإله، وعوالم الحياة الثلاث: الإنس والجن، والملائكة، كما وتمتلك معايير ثابتة لتقرير المبادئ الأساسية للحياة الإنسانية تعمل داخل إطار التوحيد في جميع مجالات الحياة، ومن ثمَّ تتبنى السياسات التربوية، والنظم التعليمية، فيها على أن الله عز وجل هو خالق هذه الحياة المدبر والمتصرف فيها، وأن له وحده الحاكمية والإرادة المطلقة، والمقرر الوحيد لمبادئ الحياة الأساسية، ومن ثمَّ لا بد من أخذ ذلك بالاعتبار، والالتزام بالتشريعات الإلهية فيما يخص مجال تخطيطها وبنائها وتطبيقاتها. وبمقارنة هذا التوجه الذي تنفرد به النظرية التربوية الإسلامية مع النظريات التربوية الوضعية، يقول محمد قطب (1995): لم تكن الاتجاهات التربوية في أي زمن

خلال التاريخ تربية إيمانية صحيحة المعتقدات سليمة الاتجاه قائمة على مبدأ التوحيد، وذلك لسببين رئيسين أولهما: لأن هذه النظريات التربوية لم تعرف دين الله المنزل على حقيقته الربانية، إنما عرفت صورة محرفة من صنع الكنيسة الأوروبية، وثانيهما: ظهور الاتجاه العلمي التجريبي الذي بسببه أنكر الناس الميتافيزيقيا ومنها الاعتقاد بالله، واعتبرتها غير صادقة لأنها غير قابلة للتحقق، وأن ليس لها أي تطبيق عملي، مما كان له الأثر الواضح على مجالات الحياة الإنسانية، بما فيها المجال التربوي بجانبه الفكري والتطبيقي (خطاطبة، 2011، ص 218)، ويظهر هذا واضحاً في النظرية التربوية البراجماتية.

ويؤكد عدنان خطاطبة (2011) على أنه لا بد لنجاح أي نظام تربوي أن يكون قائماً على منهج سماوي، ذي عقيدة صحيحة، تنعكس على سلوك الفرد فتعدله، وعلى عقله فتتمى قدراته وتحرره من الوهم والخرافة، وتمده بتصورات صحيحة عن حقيقة الإله والكون والحياة والآخرة والبعث، لتكون جميع منطلقاته في الحياة الإنسانية، قائمة على أسس وقوانين إلهية وصادقة، فالتربية والدين، أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ففي حين تقدم العملية التعليمية منظومة من المعلومات والمعارف والتوجيهات، سعياً منها وراء تنمية العقل وتطوير قدراته، يُكسب الدين الفرد القيم والاتجاهات والأخلاق، التي يوجه بها هذه المعرفة، مما يكسب المتعلم السلوك الصحيح، والفكر السليم.

وتؤكد النظرية التربوية الإسلامية أن تقرير المبادئ الأساسية للحياة الإنسانية، لا بد أن ينبني على عدة مسائل مهمة، منها:
أولاً: أن الله عز وجل هو مصدر تشريع الأصول والحقائق الثابتة، وهو الذي يشرع لمجتهدى الأمة الاجتهاد في الفروع المتغيرة لاستخلاص الأحكام الملائمة للواقع، من خلال استقائها من منابعها، وهي طريق الوحي، والاستدلالات العقلية والمنطقية، والطريق التجريبي (مبروك، 1989، ص 29-35). ومن ثم ترفض النظرية التربوية الإسلامية ما تذهب إليه النظرية التربوية الوضعية من المبالغة في طلب المعرفة، وبخاصة فيما هو فوق قدرة العقل البشري، كما وترفض أن يكون الإنسان هو الموجود الذي ينبع منه كل شيء، وإنما تعدُّ الإنسان جزءاً من الكون، بل هو أرقى أجزائه وأكثرها تطوراً، من خلال خضوعه للإرادة والحاكمة المطلقة لله عز وجل.

ثانياً: أن فكر الإنسان وسلوكه مرتبط "بالعمليَّة والنفعيَّة" التي يُبتغى بها وجه الله عز وجل ورضاه، وتحقيق النفع للأمة الإسلامية وللشريعة جمعاء، للارتقاء بالحياة الإنسانية بجميع مجالاتها، وعدم الانعزال عن واقع الحياة العملية والعالمية، والانحصار في نطاق ضيق، وعدم حصر جهد الإنسان في ذاتية وفردية متطرفة، ومن ثمَّ الحرص على عدم تضييع الوقت والجهد فيما لا طائل منه ولا فائدة؛ وذلك في سبيل توجيهه وتسهيل أداء ما أوكل الله عز وجل الإنسان ليقوم به، من عمارة الأرض وتطبيق منهجه في الأرض، وسعياً وراء تحقيق مبتغاه وهدفه

الأساس الذي خُلِقَ من أجله، وهو نيل رضا الله عز وجل وطاعته، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ سَلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، قَالَ: تَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، قَالَ: وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) رواه مسلم، وعن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يُعِينُ دَا الْحَاجَةَ الْمَلْهُوفَ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ) (رواه البخاري)، وفي هذا دلالة واضحة على أن إنسان التربية الإسلامية إنسان عملي ونفعي، ولكن بمفهوم مختلف تماماً عن النفعية البراجماتية، فمطلوب من المسلم في كل يوم تطلع فيه الشمس أن يفعل الخير، لا يبتغي به سوى وجه الله عز وجل؛ ليحقق النفع لنفسه ولغيره على سبيل الصدقة، وهي ليست صدقة واحدة، وإنما هي صدقات كثيرة، وهي ليست محصورة في أموال نعطيتها، أو أمتعة نمنحها ونؤتيها، وإنما هي تشمل كل عمل من أعمال الخير والمعروف نقصد به وجه الله ونفיד به الآخرين، بل تشمل الصدقة الإمساك عن الشر كذلك، وبذلك يكون إنسان التربية الإسلامية صاحب هم ورسالة واضحة، يتعالى فيها عن ذاتيته وفرديته، ويعمل لأجل غيره وفيما يصب في صالح الجماعة، مما يكسبه شعوراً بمحبة غيره وحب التضحية والبذل والعتاء

وإيثار الآخر، مما ينعكس بشكل إيجابي على السلوك المجتمعي ككل، ومن ثم فإن هذا التصور الشامل المتكامل لمفهوم النفعية، يتناقض تماماً عما ذهب إليه النظرية التربوية البرجماتية في جعلها المنفعة والمصلحة غاية وليست وسيلة، واعتبار مبدأ النفعية بوصفه أحد معايير تقرير المبادئ الأساسية للحياة الإنسانية، وجعلها الحق والخير والفضيلة، أموراً نسبية متغيرة بتغير الظروف والأحوال، لتكون بذلك مخالفة للأديان السماوية، والنظريات الأخلاقية، بإخضاعها الدين لمبدأ النفعية.

كما وترفض النظرية التربوية الإسلامية ما ذهب إليه النظرية التربوية البرجماتية من رفضها للقضايا الميتافيزيقية، ورفضها الإيمان بالجانب الروحي في الإنسان، وترى أنها قد أخفقت بشكل كبير في تصورها الفلسفي لحقيقة الإله، ووصفه بما لا يليق، من النقص، والضعف، والعجز، وعدم القدرة على تقرير المبادئ الأساسية التي تقيم الحياة الإنسانية، وهي صفات لا يرتضيها الإنسان لنفسه، ومن باب أولى أن لا يقبل بها لمن يفترض به أن يكون إلهه؛ لأن من صفة الإله الذي تشهد به الفطرة الإنسانية والآيات الكونية، الاتصاف بصفات الكمال المطلق.

كما وترفض النظرية التربوية الإسلامية اعتماد النظرية التربوية البرجماتية على التقدم العلمي يظهر يوماً بعد يوم خطأ كثير من النظريات العلمية التي توصل إليها العلماء في مجالات العلوم الطبيعية، وكذلك أظهر التطبيق العملي أن كثيراً من النظريات

والأفكار الفلسفية التي توصل إليها الفلاسفة التجريبيون غير صحيحة، لذا بات مفهوماً لدى الغرب مدى ضعف المنهج التجريبي في الوصول إلى حقائق مجال المعرفة".
"ومما يثبته علماء النفس ويتفقون عليه، أن الأشخاص يختلفون في أحكامهم الإدراكية على الأشياء والمواقف، وعليه فإنه لا يجوز أن نفترض أن الإدراك الحسي لشيء ما يتضمن معرفتنا لطبيعة ذلك الشيء، والقائلون بأن الإدراك الحسي وحده كاف للكشف عن طبيعة الأشياء، وأهمون وهماً لا بد من التخلص منه" (مبروك، 1989، ص75)، لذلك من البدهي أن تعدّ الوسائل المعرفية للحقيقة، عقلية كانت، أو تجريبية، أو حدسية، غير كافية وحدها لتقرير المبادئ الأساسية للحياة الإنسانية، ففي حين حصرت النظرية التربوية البرجماتية الحقيقة في الخبرة، "فشلت في تقديم شيء عن الحقيقة الكلية التي هي مدار اهتمام الإنسان في الماضي والحاضر، وحين جعلتها من صنع الإنسان هونت من منزلة الحقيقة وجعلتها أمراً ليس بذی بال ولا يحتاج إلى جهد كبير" (الكيلاي، 2009، ص64).

المطلب الثالث: مقارنة قضية مبدأ ومصير الحياة الإنسانية:

تتبنى النظرية التربوية الإسلامية تصوراً واضحاً عز نظيره فيما يتعلق بقضية المبدأ والمصير في الحياة الإنسانية؛ لأنها تستند إلى الوحي الإلهي بوصفه مرجعية لها، وتقوم النظرية التربوية الإسلامية في تصورها لبدء عملية الخلق ومبدأ الحياة الإنسانية، على أن خالق هذه الحياة وموجدها هو الله عز وجل، وأنها سر من أسرار الخالق العظيم، ونفحة ربانية روحية في المادة، وأوضح الميداني (1985م) أن "الحياة ليست

نتاج المادة، بل المادة وعاء لها، ولقد خلق الله عز وجل جسم آدم من الطين، ولما سواه نفخ فيه من روحه، فصار إنساناً حياً، بعد أن كان مادة ميتة"، فالله عز وجل هو واهب الحياة والمتفرد بها لقوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾" (الملك:2)، وآدم عليه السلام هو من يمثل نشأة الحياة الإنسانية الأولى، يقول الأصفهاني (1970م) "ولقد خلق الله عز وجل الإنسان منذ نشأته الأولى بماهية خاصة ومزدوجة ومتفردة تميزه عن غيره من الكائنات، ليكون معداً للحياة الدنيا والحياة الآخرة معاً، فجعله مكون من صورة محسوسة تظهر من خلال صفاته البدنية، وصورة معقولة متمثلة في العقل والفكر والروية، ومن عناصر صورته المعقولة معرفة الحق واعتقاده، ومعرفة الخير والعمل به؛ لذلك فإنه لا يقال إنسان في الحقيقة إلا لمن حصل الحق فاعتقده، والخير فعلمه، ورأس الحقائق وأعظمها معرفة الله عز وجل، فمن لم يعرف الله ولم يأت به بأمره وينتهي عن نهيه، فإنه لم يتحقق فيه ماهية الإنسان.

وترتكز النظرية التربوية البرجماتية على نظرية النشوء والارتقاء لدارون في تصورها لعملية بدء الحياة الإنسانية، وأوضح الميداني (1985م) "أن الحياة من ظواهر التطور في المادة، وهذا ادعاء مرفوض علمياً؛ لأن المادة غير الحية لا يمكن أن تتحول ذاتياً إلى مادة حية؛ ولأن الحياة لا تتولد إلا من الحياة كما يقرر علماء الأحياء بعد تجارب كثيرة"، والداروينية التي تعتمد عليها النظرية التربوية البرجماتية في تفسيرها لمبدأ الحياة الإنسانية ونشأتها، ليست إلا نظرية مجردة وليست حقيقة ثابتة، وهناك فرق بين

الحقيقة العلمية والنظرية العلمية، فالحقيقة العلمية هي التي تُبَتُّ صدقها وصحتها بما لا يقبل الشك، وهي غير قابلة للتعديل أو التغيير، وتكون مطابقة للواقع، أما النظرية العلمية فهي التي لا يوجد دليل ولا برهان على صحتها، لذلك فهي تقبل التعديل والتغيير والتطوير (عزام، محفوظ، 1985م، ص 217)، والثابت أن نظرية دارون ليست إلا نظرية مجردة، وهي من أكثر النظريات التي تعرضت للانتقادات والدحض من قبل مفكري الغرب قبل مفكري الإسلام.

وتنفرد النظرية التربوية الإسلامية في تصورهما لقضية مصير الحياة الإنسانية، وترى أن حقيقة الموت وسيلة للانتقال بين الحياتين، فيها كمال الإنسان، وولادته من جديد لحياة أبدية ودائمة، وأنه باب من الأبواب الموصلة للجنة، فيطمئن الإنسان للموت ويرضى به، فلا يخافه ولا يخشاه، لأنه بنداء عقله وفطرته السليمة، وبإيمانه العميق، وبتقته المطلقة بالعدالة الإلهية، يوقن بضرورة انتقاله لحياة أخرى يطمع أن يجد فيها الراحة والخلود والجزاء، أملاً منه بما وعده الله به من حسن الجزاء.

ولا تمتلك النظرية التربوية البرجماتية تصوراً واضحاً إزاء قضية مصير الحياة الإنسانية، وما بعد الموت، بدعوى أنها من المسائل الميتافيزيقية التي لا تؤمن بها، واعتبار مصير الحياة الإنسانية من المسائل التي لا يمكن معرفتها؛ لأنها تتعدى حدود الخبرة الإنسانية.

الخاتمة

أولاً: النتائج: إن من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يأتي:

1. النظرية التربوية الإسلامية، منظومة متكاملة من المبادئ والمفاهيم والحقائق والقيم الإلهية والتصورات والمسلمات والأفكار التي تنتظم بصورة متكاملة، ليسترشد بها في توجيه وتفسير العملية التعليمية بجانبها العلمي والعملية، لتحقيق غاية إعداد الفرد لحياتي الدنيا والآخرة، والوصول به إلى تحقيق المقصد الإلهي من القيام بواجب الخلافة وعمارة الأرض.
2. مفهوم الحياة وطبيعتها في تصور النظرية التربوية الإسلامية، أنها العمر الزمني لمعيشة الإنسان ونشاطه في الحياة الدنيا، بدءاً من مرحلة الولادة وانتهاءً بالموت، والتي يُقَوِّم على أساسها الإنسان ويلقى الجزاء في الحياة الآخرة، وفق معيار الإحسان في العمل، والقيام بواجب الخلافة وأعمار الأرض.
3. مفهوم الحياة وطبيعتها في تصور النظرية التربوية البرجماتية، يقصد به: "الواقع الذي يصنعه الفرد حصيلة ما يختبره جراء تفاعله مع البيئة، ليحقق التكيف والتغيير والتوافق والتناسق معها".
4. تنفرد النظرية التربوية الإسلامية بوضوح غائية الحياة وعلّة خلقها عن النظريات التربوية الوضعية التي تنظر للإنسان نظرة مادية، وعلى أنه لحمٌ وعظم، وسرعان ما يفنى فلا يبقى له أثر، مما يجعلها نظريةً تختلف نهجاً وأهدافاً ونتيجة.

5. تنفرد النظرية التربوية الإسلامية بوضوح غائبة الحياة وعلّة خلقها عن النظرية التربوية البرجماتية التي تنتظر للإنسان نظرة مادية، وعلى أنه لحماً وعظماً، وسرعان ما يفنى فلا يبقى له أثر، مما يجعلها نظريةً تختلف نهجاً وأهدافاً ونتيجة.
6. تنفرد النظرية التربوية الإسلامية بامتلاكها مادة علمية متكاملة، وواضحة، ومتماسكة، ومتفردة، ذات مصدرية إلهية صادقة، تمتاز بالقدسية والثقة المطلقة، بوصفها مصدراً ثابتاً لها تفرضه على كل فروعها، حول حقائق الوجود العظمى كحقيقة الإله، وترفض ما ذهب إليه النظرية التربوية البرجماتية من رفضها للقضايا الميتافيزيقية، ورفضها الإيمان بالجانب الروحي في الإنسان، وترى أنها قد أخفقت بشكل كبير في تصورها الفلسفي لحقيقة الإله، ووصفه بما لا يليق، من النقص، والضعف، والعجز، وعدم القدرة على تقرير المبادئ الأساسية التي تقيم الحياة الإنسانية
7. تنفرد النظرية التربوية الإسلامية في تصورها لقضية مصير الحياة الإنسانية، وتعدّ أن حقيقة الموت وسيلة للانتقال بين الحياتين، فيها كمال الإنسان، وولادته من جديد لحياة أبدية ودائمة، وأنه باب من الأبواب الموصلة للجنة فيطمئن الإنسان للموت ويرضى به، فلا يخافه ولا يخشاه، لأنه بنداء عقله وفطرته السليمة، وبإيمانه العميق، ويتقته المطلقة بالعدالة الإلهية، يوقن بضرورة انتقاله لحياة أخرى يطمع أن يجد فيها الراحة والخلود والجزاء، أملاً منه بما وعده الله به من حسن الجزاء، لا تمتلك النظرية التربوية البرجماتية تصوراً واضحاً إزاء قضية مصير الحياة

الإنسانية، وما بعد الموت، بدعوى أنها من المسائل الميتافيزيقية التي لا تؤمن بها، واعتبار مصير الحياة الإنسانية من المسائل التي لا يمكن معرفتها؛ لأنها تتعدى حدود الخبرة الإنسانية

ثانياً: المقترحات: من المقترح على طلبة الدراسات العليا إجراء مزيد من الدراسات التربوية حول التطبيقات التربوية لمفهوم الحياة وطبيعتها داخل المجتمعات الجامعية، كما توصي وزارات التربية والتعليم بضرورة تضمين مناهج التعليم النظرة المقارنة لمفهوم الحياة في النظرية التربوية الإسلامية والنظرية التربوية البراجماتية بحكم انتشارها وتأثيرها في واقع المجتمعات.

المراجع

- إبراهيم، إبراهيم مصطفى، نقد المذاهب المعاصرة، الإسكندرية، دار الوفاء، 1999م.
- إبراهيم، زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة، القاهرة، مكتبة مصر، ط2، 1968م.
- أحمد، نازلي، المدخل في التربية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1973م.
- الأسمر، أحمد، فلسفة التربية الإسلامية، عمان، دار الفرقان، ط1، 1997م.
- الأصفهاني، أبو الراغب، تفصيل السعادتین وتحصيل الدارين، دن، دم، 1970م.
- الأهواني، أحمد فؤاد، جون ديوي، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1987م.

- البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، ص1055، ح رقم (6022).
- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، ص1055، ح رقم (6022).
- بخيت، هاني محمد، البرجماتية الأمريكية المعاصرة، الإسكندرية، المكتبة المصرية، 2006م.
- تركي، عبد الفتاح إبراهيم، نحو فلسفة تربوية لبناء الإنسان العربي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1993م.
- جعيني، نعيم، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، عمان، الأردن، دار وائل للنشر، 2004م.
- جيمس، وليم، معنى الحقيقة، ترجمة: أحمد الأنصاري، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2008م.
- حسن، أمينة، نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها، القاهرة، دار المعارف، 1985م.
- خطاطبة، عدنان، الأصل العقدي للتربية الإسلامية، الأردن، دار الكتاب الثقافي، 2011م.
- الدغامين، زياد، إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي، مجلة إسلامية المعرفة، الأردن، العدد54، 2008م.

- ديوي، جون، الديمقراطية والتربية، ترجمة: نظمي لوقا، مصر، مكتبة الانجلو المصرية، 1978م.
- ديوي، جون، قاموس جون ديوي للتربية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1964م.
- رشوان، محمد مهران، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، الأردن، دار المسيرة، 2012م.
- سلطان، محمود السيد، مفاهيم تربوية في الإسلام، الكويت، مؤسسة الوحدة، 1977م.
- الشيباني، عمر محمد التومي، تطور النظريات والأفكار التربوية، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ط3، 1987م.
- عبد الله، عبد الرحمن صالح، النظرية العامة للتربية، في: مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، (الجزء الثاني)، تحرير، فتحي ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1991م.
- عبدالرحمن، عبد راضي، دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، القاهرة، دار الفكر العربي، 2002م.
- عزام، محفوظ، نظرية التطور عند مفكري الإسلام، الرياض، الدار الوطنية، 1985م.

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، دار الفكر، 1979م.
- الفاعوري، داود، غاية الإنسان في الحياة كما بصورها الإسلام، دراسات (السلسلة أ: العلوم الإنسانية)، الجامعة الأردنية، عمان الأردن، المجلد 19 أ، العدد 4، 1992م.
- القضاة، خالد، المدخل إلى التربية والتعليم، الأردن، دار اليازوري العلمية، 1998م.
- قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دم، دن، ط7، 1962م.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، بيروت، دار إحياء التراث، 1970م.
- قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، بيروت، دار الشروق، 1995م.
- قطب، محمد، التطور والثبات في حياة البشرية، القاهرة، دار الشروق، ط6، 1986م.
- الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، عمان، دار الفتح للدراسات، 2009م.
- مبروك، محمد إبراهيم، الإسلام النفعي، دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة، 1989م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مصر، دار عمران، ط3، 1985م.

- مدكور، علي، مفهوم المنهاج التربوي في التصور الإسلامي، في: مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، (الجزء الثاني)، تحرير، فتحي ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1991م.
- مرسى، محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، القاهرة، عالم الكتب، 1993م.
- مسعود، جبران، الرائد: معجم لغوي عصري للطلاب، بيروت، دار العلم للملايين، 1981م.
- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ص411، رقم (2333).
- مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير، ص1295، ح رقم (7500)، القاهرة، ابن الهيثم، 2001م.
- ابن منظور، لسان العرب، صححه: أمين عبد الوهاب ومحمد العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1999م.
- الميداني، عبد الرحمن حبنكة، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، دمشق، دار القلم، 1985م.
- النحوي، عدنان، التربية في الإسلام النظرية والمنهج، الرياض، دار النحوي، 2000م.

- نيلو، جورج، مقدمة إلى فلسفة التربية، ترجمة نظمي لوقا، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1971م.
- يالجن، مقداد، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، في: مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، (الجزء الثاني)، تحرير، فتحي ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1991م.